أطياف على صفحة الزمن

محمود سليمان الظاظا

شعر

أطياف على صفحة الزمن

محمود سليمان الظاظا

شعر

مقدمة

في صفحات هذا الديوان، محمود سليمان الظاظا يقدم لكم شعرًا ينبض بأطياف الزمن، حيث تتلاقى الذكريات والأحلام، والحزن والفرح، في رحيل الكلمات وصمتها. كل قصيدة هنا محاولة لالتقاط ما لا يُقال، ولمس ما لا يُرى، لتصبح الكلمات جسورًا بين القلب والروح، والصمت لغة صافية يفهمها من يبحث عن الجمال في تفاصيل الحياة العابرة.

_1

أكرهك ومن صميم قلبي

لم تعد قصيدة "أحبك"

تحتل المركز الأول في القلوب،

لم تعد مطلوبة عالميًا،

بل سبقتها قصيدة أخرى،

أقوى وأكثر صدقًا:

أكرهك…

ومن صميم قلبي،

يا من تنكرين الجميل،

يا من تسكنين مكانًا لا يستحقك،

يا من يحيطك النسيان والحزن،

وأنا هنا...

أكتب عن كراهيةٍ صافية،

أصدق من كل حبٍ مضى.

_2

دفتر الأشعار

تخبط وتشرذم كبير

يسيطر على دفتر الأشعار،

حتى استشهدت قصيدة على الفور،

تحمل في قلبها هموم الوطن الجريح،

ومعاناة المواطنين الفقراء،

لا فرق بينها وبين أحد،

كلهم جزء من الحزن نفسه،

كلهم صدى لألم واحد.

_3

شهرة بعيدة

لقد ذاع صيت إحدى القصائد

في البرازيل،

ولقت شهرة واسعة،

ورواجًا بين أولئك التجار...

تجار الآثار،

الذين ينقبون عن أساس ومعنى الكلمة

في الكتب القديمة،

باحثين عن أسرار الماضي،

وشغفٍ بالكلمات التي تحمل روح الزمن.

_4

حريق القصيدة الجنوبية

حريق كبير اندلع في قصيدة جنوبية،

امتد بسرعة فائقة،

ليطال باقي المدن،

والقرى الجنوبية،

واحدة تلو الأخرى،

حاملاً لهيب الكلمات،

ولهيب المعاني التي لا تهدأ.

_5

على صخرة الروشة

من على صخرة الروشة،

قفز أحدهم قفزته المعتادة،

بقلب قوي، وبجرأة لا تهتز،

لكن الريح عاكسته،

فارتطم بصخرة في قعر البحر،

ففارق الحياة...

رحمه الله رحمة واسعة،

وليبقَ ذكره في أمواج البحر.

_6

امتطاء الشعر للصهوة

وكان الشعر أحيانًا يمتطي صهوة فرسه،

الأبيض العربي الأصيل،

مثل البكوات والمشايخ،

عابرًا من ضيعة السهلين

إلى ضيعة كفريبدا،

بكل شهامة،

وسامة،

وثقة بالنفس،

حاملاً معه عبق الأرض وروح الأجيال.

_7

وسع الشعر الكون

وسع الشعر برمته،

وفي إحدى مراحل حياته،

ضم إلى كيانه أجزاءً مختلفة،

متنوعة ومتفرقة...

من النحت والرسم والموسيقى،

ليوسّع مملكته،

ويمتد على طول الكون برمته،

حاملًا كل الألوان،

وكل الألحان،

وكل أشكال التعبير الممكنة،

ليصبح الشعر عالمًا شاملًا لا حد له.

_8

ملتقى النهرين

في ملتقى النهرين الشوفية،

يتمايل الصفصاف برقة الريح،

ينبعث من حركته أعذب الألحان،

أجملها، وأرقها...

أشبه بموسيقى يونانية،

أو إيطالية ربما،

تنساب مع المياه،

تداعب الحواس،

وتحمل القلب نحو سكونٍ ساحر.

_9

أسباب مجهولة للغاية

لا أدري...

بيد أن القصيدة،

قد أدرَت بوجهها عني اليوم،

ولأسباب مجهولة للغاية،

تظل الكلمات مبتورة،

والإحساس حائرًا،

بين الحيرة والخيبة.

_10

مواطن لبناني شريف

على هذه الأرض ما يستحق الحياة،
عبارة طبعت في فكر ووجدان،
وفي ضمير كل مواطن لبناني شريف،
يعيش في هذا الوطن،
يحمل الأمل،
ويحمي الكرامة،
ويزرع في الأرض الحب والصدق.

_11

قهوته الصباحية

في بلدة بشرى،
كان أرز الرب يشرب قهوته الصباحية،
على أنغام الطيور،
وخرير المياه الباردة الصافية،
وبوح السواقي،
بما تجود به الطبيعة من أسرار،
تتناثر معها رائحة الصباح،
ويتراقص معها شعور السكينة والصفاء.

_12

القصيدة العابرة للقارات

لم تعد القصيدة مجرد محلية،
بل تحولت إلى قصيدة دولية،
عابرة للقارات،
تنتشر بسرعة تفوق سرعة الصوت،
بنحو عشرة أضعاف مضاعفة،
حاملة كلماتها إلى كلّ بقعة،
لتترك أثرها في القلوب والأذهان.

_13

قصيدة من بشرى

في بشرى، كتب أحد الفلاحين قصيدة،
جميلة، رائعة، مذهلة للغاية،
يمدح فيها الفلاحين،
الذين وهبوا حياتهم لأرضهم،
ولمحاصيلهم الزراعية،
بجد ومثابرة ونشاط،
فوهبتهم الأرض قلوبها،
وعانقت جهودهم حب الطبيعة وعطاءها.

14

طبيعة لبنان

كل طبيعة لبنان،
قصائد عديدة ومتنوعة،
من بشرى وصولًا إلى شاطئ الروشة،
بلونه الأخضر الفيروزي،
أو الأزرق اللازوردي،
لوحات طبيعية تحاكي حجم جمال الوطن،
وقلبه النابض بالحب،
بالأمل، وبالحياة.

15

أنهار بشرى

وكأن أنهار بلدة بشرى،
الباردة والفريدة من نوعها،
بجمالها ولونها وعذوبة صوتها،
وتدفق ينابيعها الرقراقة،
قد رسخت الطبيعة الغنّاءة هناك،
بأبهى وأجمل وأعظم معانيها،
حاملة عبير الحياة،
ونبض الأرض الصافي بين ضفافها.

16

موشحات بشرى

كانت بلدة بشرى تزخر بالموشحات الدينية،
التي كانت تفيض بها قلوب الجبال والهضاب والوديان،
لتصل إلى مسامع الطبيعة الغنّاءة الساحرة هناك،
حاملة ألحانًا من الطهر،
ونبضًا من الصفاء،
تتناغم مع الهواء والماء والأرض،
فتصبح البلدة نفسها قصيدة حيّة.

17

تصميم الفؤاد

في بلدة بشرى،
كان جبل قاديشا يعانق السحاب،
وكأنه يومئ إليها بكلمات،
نابعة من صميم الفؤاد،
تنطق بالسكينة،
وتحمل عبق الأرض،
وروح السماء،
فتصبح الطبيعة هناك شاعرًا صامتًا.

18

أرز الرب

في بلدة بشرى،

كان أرز الرب يسجد لإله الكون،

طوال الليل،

حتى طلوع الفجر،

حاملاً صمت الطبيعة،

وخضوعًا عميقًا للسماء،

كأن كل أوراقه تهمس بالدعاء والسكينة.

19

بلدة مجاورة

في بلدة بشرى،

كان أرز الرب الشامخ المهيب،

يصلي الفجر جماعةً مع المصلين،

موزعين بين مسجد واحد أو عدة مساجد،

في بلدة مجاورة،

يتناغم صمت الطبيعة مع الدعاء،

وتتحد الأرواح في خضوع وسكينة.

20

بلدة بشرى

في بلدة بشرى،

كانت الطبيعة الغناء

لا تفتر لحظة عن ذكر باريها سبحانه وتعالى،

ولا لحظة واحدة،

كل نسمة، وكل خرير، وكل أغصان شجرة،

تتحدث بلغة الطهر والسكينة،

وتحمل صدى التسبيح في كل زاوية من الأرض.

21

رب الملائكة والروح

في وادي بشرى،

كان نهر قاديسا يعظم، يمدح، ويثني،

على الخالق سبحانه وتعالى،

بأجل وأرقى وأسمى وأجمل العبارات،

سبوح، سبوح،

رب الملائكة والروح،

تنهمر كالمياه،

تتردد بين الصخور والوديان،

وتحمل القلب نحو السكينة والطمأنينة.

22

قصيدة صاروخية

لا داعي للهلع،

لا داعي للقلق،

لا داعي للخوف...

كل ما في الأمر أن تجربة قصيدة صاروخية،

فشلت،

وسقطت في البحر الأبيض المتوسط،

لتغمرها أمواج الفكاهة،

وتصبح حكاية يُروى عنها بين الأمواج والكلمات.

23

ماري هاسكل

وكان حب جبران خليل جبران

لماري هاسكل،

بحجم حبه لبلدة بشرى...

وأكثر،

حب لا يُقاس،

ينبض في القلب،

ويظل خالدًا بين الكلمات والذكريات.

24

أرز بشرى

حتى أرزُّ بشرى

أمالَ قاماتهُ العالية،

وتعاطف — وبكلِّ حنانٍ —

مع غزّةَ الصامدة،

مع أهلها الصابرين،

وأطفالها المعذّبين.

مدَّ ظلاله من صميم القلب،

يحضنهم

كما تحضنُ الأمُّ صغيرَها.

25

أرز بشرى

لم يَعُد أرزُ بشرى

شامخًا

كما كان في الأزمنةِ الماضية...

فالمجازرُ البشعة

التي ارتُكبت

بحقِّ غزّة الأبيّة،

العزيزة،

المحبّة،

الشريفة،

المظلومة...

وبحقِّ أهلها الأوفياء،

الأبرياء،

المخلصين...

قصمت ظهره

كلّيًا،

فانحنى الألمُ

على جذعه،

وانحنت معه

سماءُ الوطن.

26

حمدًا لله

حمدًا لله،

سبحانه وتعالى،

فالأمورُ كلُّها

تمضي "على ما يرام"،

تتقدّمُ بخطًى واثقة

— لكن —

إلى قعرِ الهاوية!

27

قصيدة مجهولة

في لبنان،

يبقى مصيرُ القصيدة

معلَّقًا،

غامضًا،

ومجهولًا…

إلى أن يأتي إشعارٌ آخر،

أو لا يأتي أبدًا.

28

مئات السنوات

في "بشرى"،

وجدَ الشعرُ ضالّتَه،

بينَ أرزٍ شامخٍ،

يُناجي السماءَ

منذُ مئاتِ السنين،

ويَحرسُ ذاكرةَ المكان.

29

بُشرّي

في بلدةِ بُشرّي،

كانت سُحُبُ الكونِ البيضاء

تغزو القمم،

ترتفعُ عاليًا،

وتغمرُ رؤوسَ الجبال،

بمشهدٍ مؤنسٍ،

آسرٍ،

ومُلفتٍ للأنظار.

30

بلدة الجاهلية الشوفية

سحابةٌ شتويةٌ ماطرة،
أو نَسمةٌ صيفيّةٌ حارقة،
تكشفُ سرَّ الطبيعةِ الخلّابة
هناك،
في بلدةِ الجاهليّة
الشوفيّة،
حيثُ يمتزجُ الجَمالُ
بدهشةِ الفصول.

31

نار حامية

وعلى نارٍ حامية،
أعلنَ النسرُ
توقيفَ كلِّ رحلاته الجويّة،
من، وإلى،
إسرائيل…
وذلك
حتّى إشعارٍ آخر.

32

حرف واحد

كلُّ شيءٍ

يتوقّف لديه

على حرفٍ واحد.

حرفٌ واحدٌ

يكشفُ ملامحَ القصيدة،

يرسمُ هيئتَها،

يحدّدُ موضوعَها،

ويفصحُ عن مضمونِها...

حرفٌ واحد،

قد يكونُ البدايةَ،

أو يكونُ النِّهاية.

القصيدة الجوية

على رصيفِ صوفر،

فاجأتهُ قصيدةٌ جويّة،

قادمةٌ من تل أبيب،

كتبها أحدُ كبارِ

حاخاماتِ اليهود،

يستجدي فيها "حماس"

إطلاقَ الأسرى اليهود

المحتجزينَ لديهم...

وعلى الفور،

تبعثرتْ الكلماتُ في الهواء،

كأنّها صدى

لا يجدُ من يُنصتُ إليه.

34

من المحيط حتى الخليج

من المحيط حتى الخليج،

شعارُ قصيدةٍ بصرت النور

حديثًا في بلدةِ صوفر،

اتخذت من هذه المقولة

شعارًا حصريًا لها،

لا ينافسها عليهُ أحد.

35

سماء بيروت

كان الشعر أحيانًا

يعطلُ جميعَ أجهزةِ الرادارات،

لتلك الطائرات الحربية المقاتلة،

المعادية،

التي كانت تحلّقُ

في سماءِ بيروت،

بدقةٍ فائقةٍ...

لا تُصدَّق.

36

فنجان القهوة في الشوف

لا شيء يضاهي لذةَ

احتساءِ فنجانٍ من القهوة،

في الشوف صباحًا…

خاصةً على رصيفِ صوفر،

بجانبِ قصرِ الشيخ الخرافي،

جميل…

بل رائع جدًا.

37

أحد شعراء الجن

ضحكَ أحدُ شعراءِ الجن،

من قصيدةٍ نظمها بإحكامٍ وإتقان،

أحدُ كبارِ شعراءِ العرب في الجاهلية،

بعنوان:

"إبليسُ أيها اللعين،

ألا لعنةَ اللهِ عليك"،

لكثرةِ الضحك،

انقلبَ على ظهره،

ويبدو أنها أعجبته كثيرًا…

بل كثيرًا جدًا.

38

روما القديمة

كان أحد عمالقة شعراءِ الجن في روما القديمة
يشعلُ سماءَ الأمنيات،
ويمطرُ المهرجانات بقصائدَ غريبةٍ عجيبة،
لا تخطرُ على قلب شاعرٍ من الموجودين هناك.

ثم اختفى فجأة،
وتلاشت أشعاره معه،
ما بين ليلةٍ وضحاها...

وكان يُدعى:
العملاق، الشاعر العملاق.

39

أسرار السعادة المفقودة

أسرارُ السعادة المفقودة،
قصيدةٌ كتبها أحد شعراءِ بعلبك القدامى،
وقد سمعها من جنيٍّ شاعرٍ كبيرٍ وعملاق،
وقتَ الضحى.

ولاقت استحسانًا كبيرًا لدى قيصرِ روما،
حتى بقي يرددها طيلة النهار،

كأنها سرٌّ أزليّ لا يُنسى.

40

قيصر روما

إحدى القصائد وجدت استحسانًا كبيرًا
لدى قيصرِ روما آنذاك،
لدرجة أنه بقي يرددها
طيلة النهار،
وكأن عنوانها:
أسرار السعادة المفقودة.

41

أحد الأساقفة

وكان المجمع الكنسي في نيويورك،
كلما اتخذ قرارًا بفصل أحد الأساقفة،
أو المطارنة، أو أحد الرهبان،
كان أول من يبادر إلى توقيع العريضة:
أبو أنطون،

مردّدًا في سرّه:
"يا رب، ما يبقى ولا واحد منكم...
يا منافقين، يا دجاجلة!"

42

مجمع روما الكنسي

كلّ مجمع روما الكنسي آنذاك—
أساقفة، مطارنة، بطاركة،
قساوسة ورهبان—
عرفوا قصة أبو أنطون،
ابن ضيعة كفريبدا،
وعن كراهيته الشديدة
لرجال الكهنوت في ضيعته…

وأبو أنطون،
لم يسمع باسم واحد منهم بتاتًا.

43

النيزك

كان كل شيء يبدو لديه
جليًا،
نديًا،
حنونًا،
ساطعًا،
مشرقًا…

هذا الصباح،

قبل أن يضرب رأسه

ذلك النيزك.

44

دبحوها

دبحوها...

هالبنت،

وعيونها...

دُبحَت أيضًا.

45

أرجوك

أرجوك، أيها الشعر،

ارحمني قليلاً...

فأفكارك تبدو جنونية،

بشكلٍ كبير،

يأبى الفكرُ السليم

عن تقبّلها، أو التسليم بها.

فارحمني، أرجوك،

حبًّا بالله ورسوله الكريم، محمد صلى الله عليه وسلم...

ارحمني.

46

بالله عليك

بالله عليك، أيها الشعر،

من أين تأتي بهذه الأفكار الغريبة العجيبة؟

كثيرًا...

إرحمني، أرجوك،

فقد تصيبني بالسكتة الدماغية!

أرجوك...

ارحمني.

47

قصيدة عابرة للقارات

كل شيء يبدو وكأنه

مباح أمام ناظري،

بإطلاقي قصيدةً

عابرةً للقارات،

من لبنان

حتى آسيا الصغرى.

48

عيون الغزلان

من أجل بريق عينيها السوداوَتَين،

عيون الغزلان،

اخترقتُ حواجز الصمت،

وبرمتها...

وأقحمتُ روحي في مهالك

لا حصر لها،

لا عدد لها،

على الإطلاق.

كل شيء يهون

لأجل بريق عينيها السوداوَتَين...

حتى الروح.

49

هكذا فقط

في قاعدة رياق الجوية العسكرية،

لم يعرف الشعر حدّه،

ولم يتوقف عنده...

هكذا فقط.

50

جبال لبنان المهيبة

من قاعدة رياق الجوية العسكرية،
أقلع الشعر بإحدى المروحيات العسكرية،
فوق جبال لبنان المهيبة،
الجميلة، الشاهقة...
ثم أعادها كما كانت،
دون أن يسجل برج المراقبة هناك
أية حركة تذكر.

51

نجمة القصيدة

وبالتفاتة خاطفة،
سطعت نجمةُ القصيدة:
"إليك عني"
فوق سور الصين العظيم...
وبالتفاتة واحدة فقط.

52

صخرة طانيوس

في ضيعة كفريبدا،

نحت طانيوس اسمه

على صخرة بارزة،

نافرة من صخور كفريبدا،

أسفل الوادي القديم...

عرفت فيما بعد:

بـصخرة طانيوس.

53

الدقة المتناهية للشعر

في قاعدة رياق الجوية العسكرية،

حلق الشعر بجميع المروحيات هناك،

بدقة متناهية،

وحرفية تامة،

ومقدرة عالية،

تفوق تصورات البشر

وقدراتهم البسيطة

بأضعاف مضاعفة.

54

جريس

هناك، في الضيعة،

معتوه آخر... جريس.

يذكرني بالمجرم نتنياهو أيضًا.

كل المعتوهين والمجانين،

سواء في الضيعة أو خارجها،

يذكروننني بلا منازع

بـنتنياهو الأحمق المعتوه.

55

الجنون فنون

كنت، كلما سمعت

ذاك المجرم الحقير والوضيع نتنياهو،

يتحدث بكل فخر واعتزاز،

وثقة عالية بالنفس

عن "انتصار كبير له" في غزة الأبية الصامدة،

تذكرت مجنون الضيعة، سمعان،

الذي كان يباغت بعض شباب البلدة،

بدفعهم داخل النهر الشديد البرودة،

ثم يفر هاربًا، منتشيًا بما صنع...

والجنون، فنون.

56

القصيدة الضوئية

سأكسر حاجز الصمت

بقصيدة ضوئية،

تعبر حدود الكون برمته،

ثم تحط رحالها

على مدرج قاعدة رياق

الجوية العسكرية.

57

القصيدة الشهيدة – جنوب لبنان

ارتقت إحدى القصائد شهيدة،

إثر استهدافها بصاروخ،

أُطلق من مسيرة إسرائيلية معادية،

داخل مدينة صور،

جنوب لبنان الباسل على الدوام.

58

مجنون الضيعة

يتذكّرني نتنياهو بمجنون الضيعة،

سمعان،

الذي كان يحقق انتصارات وهمية،

بدفع بعض شباب البلدة خلسة

إلى الأنهار الباردة المثلجة،

ثم يفر مسرعًا،

مسرورًا بانتصاره العظيم.

59

قمر الباروك المنير

وكان قمر الباروك المنير

يردد، بأعلى صوته،

ثلاث مرات، مرارًا وتكرارًا،

صباحًا ومساءً:

"اللهم أجرني من عذابك

يوم تبعث عبادك"

"اللهم أجرني من عذابك

يوم تبعث عبادك"

"اللهم أجرني من عذابك

يوم تبعث عبادك"

لا يردد غيرها.

60

أحيانًا

وكان الشعر، أحيانًا،
يبحث عن أمجاده الضائعة
في كهوفٍ،
مغاور،
وأودية جبال لبنان المرتفعة،
حتى السماء.

61

قضية شرف

لم تعد القضية قضية شرف
عندما يُغتال الشعر
وبدم بارد،
في شبعا، حولا، كفركلا، الخيام،
النبطية، مرجعيون، وحبوش...
جنوب لبنان.

62

جبل صوفر

جبل صوفر
اتشح بالسواد العظيم،
حزنًا،

حدادًا على شهداء غزة،

الذين سقطوا بنيران

القوات الإسرائيلية المجرمة،

لعنة الله عليهم جميعًا.

63

أفكاره الشعرية

في وادي قاديشا الأثري،

فكر الشعر باتخاذ إحدى المغاور مسكنًا له،

ليطلق منها أهم نتاجه:

أفكاره الشعرية...

وأهمها،

بل أعظمها على الإطلاق.

64

وادي قاديشا الأثري

في وادي قاديشا الأثري،

كان النور المتدفق

من إحدى الكهوف

يملأ الوادي الغريب

بالرهبة والخشية.

65

حزن الشعر

وكان ليل الشعر حزينًا
على موت إحدى كبار شعراء الجن،
في اليمن،
العملاق الكبير.

66

وادي قاديشا الأثري

عند منقلب الضفة الأخرى
من وادي قاديشا الأثري،
هوت إحدى القصائد أسفل الوادي،
عنوانها: القناعة...
ووجدت حتفها على الفور.

67

إله واحد

سخِر الشيطان الرجيم
من أحد الأدباء والحرفيين اللبنانيين
في القرن التاسع عشر،

فوسوس له بصناعة—على زعمه:

آلهة وآلهات.

ولكن لا يوجد في الكون سوى إله واحد،

وهو الله، رب العالمين،

لقول ربنا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

"إنما إلهكم إله واحد"

صدق الله العلي العظيم،

وقوله سبحانه:

"هل تعلم له سميا"

صدق الله العلي العظيم.

أضله الشيطان ضلالًا بعيدًا.

68

قاتلة أو مقتولة

هذه القصيدة لم تعد تحتمل التأويل:

إما قاتلة، أو مقتولة،

دفاعًا عن المسجد الأقصى الشريف،

الذي بارك الله من حوله.

69

القصيدة الحالمة

حتى القصيدةُ تحلُمُ

بغدٍ مُشرقٍ،

وبمستقبلٍ لامعٍ

كالعالَمينَ جميعًا.

70

خيالة المير بشير

على هذه الأرضِ ما يستحقُّ الحياة،

قالها فلاحٌ ثائرٌ

في جبيلَ العتيقة،

يُطارده خيّالةُ المير بشير،

فتناثرتْ كلماته في الأزقة،

ولا يزالُ صداها

يطرقُ جدرانَ المدينة

إلى اليوم.

71

ما أضيق العيش... لولا فسحة الأمل

قالها قبطانُ التيتانيك،

حين ارتطمت السفينةُ بجبلٍ جليدي،

وتصدّعت أضلاعها في المحيط الأطلسي،

لتغرق بما تحملهُ وتحتويه،

في بحرٍ باردٍ كالموت...

لكنّ صدى عبارته

ظلّ يطفو،

كقارب نجاةٍ

على موج الذاكرة.

72

حلبة مصارعة الثيران

في ساحةِ المصارعةِ،

هناك في إسبانيا،

نجا الشِّعرُ بأعجوبةٍ،

من حربةٍ مسنَّنةٍ

أفلتت من يدِ مُصارعٍ طائش.

كادت تطعنُ قلبَه،

وتُسقطهُ مضرجًا بالدمعِ والدهشة،

لكنّهُ أفلت...

كمن يولدُ من جديد.

فأقسم أمامَ ربِّ الملكوت:

أن لا يعدو بعدَ اليوم،

ولا يخطو خطوةً واحدةً

داخلَ حلبةِ صراعٍ

للثيران...

في إسبانيا.

73

ثوار بلدة لحفد

أُعجِبَ الشعرُ كثيرًا آنذاك،
بثوّارِ بلادِ جبيل،
أبناءِ لحفدَ الأشاوس،
الذين كانوا ينتفضون،
بشراسةٍ وصلابة،
في وجهِ رجالِ الإقطاع،
من مشايخَ وأمراء،
ينهشون حقوقَهم،
ويُرهقونهم بالضرائبِ الثقيلة.

فأحبّهم الشِّعرُ،
وأعجبَ بهم...
من أعماقِ قلبه.

74

صومعة

على سفوحِ صنينَ الشامخة،
بنى الشِّعرُ لنفسه صومعة،
وأقام فيها ناسكًا،
يتعبّد اللّهَ العظيم،
بهدوءٍ... وخشوعٍ...

وسكينةٍ عميقة.

75

آب اللهاب

في رحلةِ الألفِ ميلٍ... والميل،
أضاعَ الشِّعرُ كثيرًا من طاقته،
تبعثرتْ قُوّتُه،
وخبا وهجُ مقدرته،
تحتَ شمسِ ظهيرةٍ لافحة،
في يومٍ من أيّامِ
آبَ اللَّهاب.

76

قلعة بيروت التاريخية

إنّ الصخرةَ التي رفضها البنّاؤون قديمًا،
تحوّلت إلى المدماكِ الأساس،
لتنهضَ عليها قلعةُ بيروتَ التاريخية،
آنذاك،
في الحقبةِ الرومانية...
شاهدةً على الدهر،
وعلى سرِّ البقاء.

77

سماء لبنان

مثل كثير من اللبنانيين،
لم يفكّر الشِّعر يومًا
بأن يهجر سماء لبنان،
أرضه الطاهرة،
جباله، سهوله، أوديته،
أنهاره، بحره، وطبيعته الخلابة.

مخلصًا ومحبًا لوطنه،
يكبّر القلب،
ويزداد القلب اتساعًا
بحبه العميق لهذه الأرض.

78

روزنامة حياته

كاد الشِّعر أن يعبث في روزنامة حياته،
حين قرّر مهاجمة إحدى المقرات العسكرية
المعادية لبلده لبنان في الخارج،
فتحركت الأيام بين قلبه وعزيمته،
كما تتحرك الصفحات في كتابٍ مجهول.

79

جزع شجرة

ماذا تريد مني،

أيها الصباح الحارق؟

تتبعني كما يتتبع الذئب فريسته…

سألتجئ إلى جزع شجرة وارفة،

تظللني،

وتقي قلبي حرّها.

80

أرجوحة الزمن

على سورٍ من أسوار روما القديمة،

هوى الشِّعر من أعلى إلى أسفل،

فاعتنق أرجوحة الزمن،

ونجا…

بين لحظةٍ وأخرى،

كما ينجو الحلم من بين الأصابع.

81

جبل الوقائع وبحر الأسرار

كل شيء اليوم

رهن إشارة جبل الوقائع

وبحر الأسرار

سواء أعجبنا ذلك

أو لم يعجبنا

فقد حسم الأمر

82

بين الأرض والسماء

وتبقى تلك القصيدة الرومانسية،

معلقةً بين الأرض والسماء،

حتى تتهيّأ الأرضية المناسبة لها،

لتهبط أخيرًا

على مدرجات مطار بيروت الدولي،

حيث تستقبلها الحفاوة،

في صالون الشرف،

من مدير عام المطار...

83

كتابة الأشعار

لم يفكر اليوم بكتابة الأشعار،

لا بعنوانٍ معين،

ولا بفكرة محددة،

ولا حتى بجملة مفيدة...

لكن كيف أنهالت عليه، فجأة،

جميع هذه الأشعار،

كحشدٍ من النجوم،

يتهيأ للقفز،

والانفجار في سماء خياله.

84

المعادلة الذهبية

المعادلة الذهبية:

شعب، وجيش، ومقاومة...

ستبقى حاضرة، وبقوة،

على خشبات المسارح،

في الأفلام السينمائية اللبنانية، وربما العربية،

في دفاتر الأشعار، وكتب التاريخ الوطنية،

وربما أيضًا في عقول بعض المواطنين،

من جميع الطوائف...

لكنها... للأسف،

ليست على أرض الواقع.

85

المعلّم الأوّل

أُعجبتُ بشخصِ المهندس

الدكتور وليد لبكي،

رئيسِ دائرة بيروت

في مؤسّسة كهرباء لبنان،

كما أُعجِبَ جبرانُ خليلُ جبران

بمعلّمِه الأوّل

سليم ضاهر...

أُعجبتُ كثيرًا

بشخصيّتِه النظاميّة،

المتألّقةِ

على الدوام.

86

جني قبضاَي

يمرُّ أحيانًا أسبوع،

أحيانًا اثنان،

بل ثلاثةُ أسابيع،

ولا يزورني شبحُ الجنِّ

بقصيدةٍ جديدة.

يبدو أنّه منشغلٌ

بالعَمل،

يكدحُ،

ليكسِبَ قوتَ يومِه

بعرقِ جبينِه...

جني قبضاَي!

87

قصيدة صاروخيّة

أراد أن يُطلِقَ قصيدةً صاروخيّة،
تتّجه نحو تمركزِ الجيش
الإسرائيليِّ المجرم،
في عمقِ الأراضي اللبنانية
المحتلّة...

لكنّه خشيَ
عواقبَها الوخيمة،
فتراجع...
وصمتَ القلمُ،
وبقيَ الجرحُ وحدهُ
يصرخ.

88

المهندس الدكتور وليد لبكي

لمعَ اسمُ المهندس،
الدكتور المحترم وليد لبكي،
رئيسِ دائرة بيروت
في مؤسّسة كهرباء لبنان – سابقًا.

في بلدته بعبدات
أشرقَ نجمُه،
ذاع صيتُه،

وانتشرت أخبارُه،

من بعبدات إلى جوارِها،

ثم إلى كلِّ لبنان...

غايةٌ في الرقي،

والإنسانيّة،

والأناقة.

كرمُ ضيافة،

خُلقٌ رفيع،

وعِلمٌ لا يُجارى.

قد لا يتكرّر مثلُه

مرّتَين

في بعبدات...

هكذا هو.

89

البحر الهائج المضطرب

كلُّ شيءٍ اليومَ

محفوفٌ بالمخاطر،

لا سيّما إذا أرادَ الشعرُ

أن يغوصَ

في هذا البحرِ

الهائجِ المضطرب...

صباح الخير

صباحُ الخير،

يا وطني العزيز... لبنان.

تبدو اليومَ بصحّةٍ جيّدة،

لا هزّاتٍ أرضيّة،

لا زلازل،

لا حروب،

لا فيضانات،

لا مجاعة،

ولا أوبئة.

ولا حتّى قصفٌ إسرائيليٌّ متقطّع

يطاولك...

تبدو بخيرٍ اليوم،

والحمدُ لله

ربِّ العالمين.

خاتمة

وهكذا، تنتهي الرحلة بين أطياف الزمن، ولكن الكلمات تظل عالقة في الذاكرة، تهمس بين السطور وتستنير في صمت القلب.

ربما لم تُحَل كل الأسئلة، وربما لم تُسكَب كل الدموع، لكن كل قصيدة هنا كانت دعوة للنظر داخل النفس، لاستنشاق عبير الذكريات، ولمس عمق الأحاسيس.

شكرًا لكل من قرأ، لكل من شعر، ولكل قلب وجده نفسه في هذه الصفحات… فالشعر، في النهاية، ليس سوى انعكاس لأرواحنا على صفحة الزمن.

محمود سليمان الظاظا

شعر